وقد بكتني بهدوء وانحنت علـي
كأنما يحرسني جناحها المهيض هامسا الي
جميعهم مضت بهم اجنحـة الرياح
جميعهـم طاروا
ووحـدي قـد بقيـت .

وفي هذه القصيدة يتضح تماما تأثير كتب الهسكلاه التي كانت تؤثر فيه باطراد وتجعله يشعر بالغثيان حينما يقرب الكتب الدينية حسبما يعبر عن ذلك في خطاب سيرته الذاتية الى يوسف كلاوزنر : « لقد أصبحت الكتب الدينية بالنسبة لي مقززة كالوجبة الثقيلة ، وقد حاولت ببقايا قواي أن أصمد على كرسي ولكن وهنت مثابرتي يوما بعد يوم » . ونحن نجد بياليك في الحالة النفسية الرافضة لمثل الدين اليهودي وتراثه في قصيدته «أمام دولاب الكتب » (١٩١٠) . وفي هذه القصيدة يسترجع الشاعر الايام الغابرة حينما كانت الكتب الباهتة والصفراء هي كل ما يعرفه . وكان يظل يمعن النظر فيها ليل نهار لدرجة ان جزءا من روحه كان ينغمس في مضمونها ولكنه بعد سنوات من التيه في العالم الكبير ، عالم المعرفة والثقافة ، يقف مرة أخرى أمام الدولاب حيث الاوراق الثمينة — مرتبة فيه ويحاول أن يستعيد صلته بها ولكنه يشعر ان مفتاح عالمه القديم قد ضاع وان لغـة الاسرار مع هذه الكتب قد فقدت . ويدخل الشك قلبه في أنه ربما يكون التمسك بروح الماضي شيئا لا طائل منه وانه اضاعة للوقت فيما لا منفعة من ورائه وان كنوز الماضي لا يمكن ان تثريه ، واخيرا يعرب عن حيرته وشكه لانه فقد القدرة على فهم لغة الاسرار الخاصة بهذه الكتب :

الم أدرك شبابي معكم انتم فقـط
وكنتم لي كالحديقة في حر يوم الصيـف
وكنتم لرأسي كالوسادة في ليالي الشتاء
وتعلمت ان احفظ في اوراقكم تذكار روحي
وأن أضمن سطوركم احلامي المقدسة .
وانا الآن بعد مرور وقت طويل
بعد ما صرت معقد النفس ، مقطب الجبين .
ها هي دورة حياتي تعيدني وتضعني امامكم ثانية
أيتهـا الكتب المكنـوزة في الدولاب
ويا نازحات من لافوف وسلفتيا وامستردام وفرانكفورت*
يا عجائز الكتب انني انظر فيك ولا أعرفك ،
ومن بين حروفك لم تعد تنظر الى أعماق نفسي
الأعين اليقظة ، تلك الاعين الحزينة لشيوخ غابرين
ولم أعد اسمع هناك همس شفاههم
ينسل من قبور نسيت ولم تعد تزار
وانت يا كواكب السماء يا حب روحي
ويا فاهمـة مكنونات قلبـي
ما بالـك صامتة ، صامتـة ؟
أحقا لم يعد لدى جفنك الذهبي قـول
أو اشارة خفية تقولينها لي ولقلبـي ؟
أم أن هناك الكثير وانا الذي نسيت لغتك

---

* مدن اوروبية كانت فيها مراكز يهودية هامة وقد طبعت بها كتب دينية يهودية ذات قيمة .